الألحان الضائعة

نظم حسن كامل الصيرفيّ ، ١٠٤ صفحة بحجم ٢٣½ × ١٥½ سم .
مطبعة التعاون بالقاهرة . الثمن ٥٠ مليماً

فى ذمّة الفنّ ألحانٌ تضيع ، وفى أصدائها قطعٌ من قلب فنّانِ
تجرّع الألم الدامى فحوّله إلى ترانيم عشاقٍ وألحانِ
يُسقى العذاب، ويسقى الناس أكؤسَهم صفواً من النور فى ظلماء أشجانِ

* * *

هكذا يغنى الصيرفيّ فى واحته المنسية ، وهكذا تمر لوحته الخيالية بين ناظرى فى عزلتى بالريف ، فتنبعث منها أناتٌ صارخة ، هى شكوى الفنان من بيئته العمياء التى لا ترفع أجفانها إلا على قرع النواقيس يقلقنا بها عشاق الشهرة الذين لم تواتهم الطبيعة بأدب رفيع يغنيهم عن تلك الأساليب الدنيئة من طلب المجد على حساب أدب غثّ رخيص ، فراحوا يقيمون لأنفسهم نصباً من مدائح المفتونين المخدوعين من جهلاء القوم فيثيرون فى جوّ الفن ضجيجا وصخبا يضمحلّ تحتهما مجد الفنان الأصيل الذي خلقَ ليبتدع ، وليغذى الروح الانسانى بإلهام فنه وقدرته ،ولكن هناك أبصاراً نفاذة تخترق تلك الدعايات الكاذبة الى ذات الفن ولبابه ، فتقدّر منه ما يستحق التقدير ، وتطرح ما دون ذلك ظهريا . وإنى لأحسّ بعض من الألم كلما أمعنت فى مطالعة (الألحان الضائعة) ولكنه الألم العبقرى اللذيذ ، الذى يترعه الشاعر على ألحانه ، فيتطاير منها إلى النفوس العالية التى تجد فى مثل هذه الحياة العميقة الهادئة لذة ومتاعاً للروح ، تشوبهما تلك الأطياف السود التى تتراءى فى ظل إنسانية هوجاء طغت عليها المادية فأتلفت منها الجانب الروحى الذى لا ينهض الشعر — والفن على الاطلاق — بدونه ، والتى ينشرها الزمان على كثير من أرواح العبقريين من نوابغ الأمم فيؤدون رسالاتهم فى صمتٍ وقد عزفتْ عنهم الحياة

فلم تصغ لهم ولم تتلفت إلى فنهم الموهوب ، فتتحول دفة الفن من أيديهم دون أن يشعروا الى سخط على الناس والزمان ، ويخسر المجتمع شيئاً كبيراً من حضارة الفكر لو سعدوا بالانصاف والتقدير لما تخلفت منها ذرّة هباء ... اسمع للصيرفى فى قصيدة « الشاعر والزمان » :

قد عربدَ الدهر فلم يستمع ... للعازف اللحنَ ، ولا الشاديهْ
وقام فى ثورة أحلامه ... يطعَنُ فى طغيانه ساقيهْ
وأنهُ المطعون فى قلبهِ ... مطموسةٌ فى الصرخة الداويهْ
ما الشاعر الموهوب إلاّ دَمٌ ... على نصالِ القوة الطاغيهْ

وأصغ إلى تلك الألحان الجريحة التى تتدفق من أبياته فى صدق شعور ، وانسجام معنوى دقيق لا يدركه إلا ذو النظر الشعرى البعيد ، فما أنت سامع إلا بكاء فنان جازع من إجحاف بيئته وعدم تقديرها لفنه ، إنها مصر ! وانه الأدب المحض اللباب يشقى فى وسطها الملوّث الدنس الذى عاث فيه جماعة من أدعياء الأدب والشعر لن تمتطيع مجاراتهم فى الشهرة التى يشترونها بدسّهم ونفاقهم وملقهم ولو حملت فى يمينك روائع شكسبير أو إلياذة هومير .

أظهر ما يتجلى فى هذا الديوان نزوعه الى المعانى التجريدية التى قلما ينضجها الشباب ، وتلك ظاهرة جليلة فى الشعر الحديث نرحب بها ونمهد لها السبيل لتأخذ مكانها من نفوس الموهوبين من شعراء الشباب ، ومن أخص ميزاتها التسامى عن مدارك العاديين فلا يحس بعذوبة الفن فيها وتساميه إلا ذوو المدارك العالية لأنهم بإزاء فن عال خصيب ، لم يهيأ للتسلية واللهو الوجدانى الضحل الذى يطرب له العقل الساذج السريع التنقل ، وإنما خلق ليكون مسرحا للنظر الشاعرىّ العميق الذى يلتمس الشعرَ إنسانيا عاليا يتخلص من ربقة القيود القديمة التى استغلت قرائح الشعراء للمناسبات وأجبرتهم على النظم فيها إجباراً فبلينا من تراثنا الأدبى القديم بشعر تاريخى يسجل الحوادث تسجيلا ، أما الوتر الفنى فلقد ظلّ معطلا الى عهدٍ قريب حتى هزّه فريق من شعرائنا المجددين ، نعتبر الصيرفى من شخصياتهم الناهضة ، وقد مجّد الشعر فى رسالته بالألحان الضائعة تمجيداً غالياً يدل على أن شاعرنا مخلص لفنه يستوحيه من دقائق تصوراته ذات الصلة القوية بحياته الشخصية الخاصة ، فالصيرفىّ ذو الجسد الشاحب ، والعينين الباهتتين الغريقتين ، هو الصيرفى

الذى يكتب للربيع أغانيه السبعة فيندب فيها ضيعة شعره ، ويتوجع فيها للشاعر الموهوب تبتلع الحياة ألحانه ابتلاعاً ، فتارة يقول :

يا أغانى الربيع فى البلد الضاحك بالكِ لم يستمع لرنينكْ !

وتارة يقول :

يا أغانى الربيع عندكِ وزن للنشيد الذى تُنوسِىَ وزنهْ
كان يصبو الى سماعك بالأمس ليصحو من رقدة الموت فنهْ
فاذا العود لا يردِّدُ لحناً واذا القلب ليس يُسْمَعُ أنَّهْ !

وتارة يقول :

قد سئمتُ الألحان ينشدها النا سُ بجهل مضاعفٍ مفضوحِ
وتطلبْتُ من فؤادى شعراً غير شعر الورى بعيد الطموحِ
يا أغانى الربيع . . حوّلتُ نفسى أغنياتٍ من قلبىَ المقروحِ
هِىَ لحنى أضعتهُ فى فضاءٍ ميِّت الحس والصدى كالضريحِ

وهو الصيرفى الذى يقول فى قصيدة (دعينى) :

وماذا يفيد السكون الجميلُ اذا فقد الكونُ صوتَ المغنّى ؟
وهل تنفع العود أوتارهُ اذا لم تُهزَّ لترديد لحنِ ؟

ويقول فى قصيدة (الشاعر) وهى رسالة قيِّمة تعدُّ قمة النضوج الشعرى فى ديوانه :

أيخلد الشاعر فى جنةٍ اصداؤه فى أفقها فانيهْ
ما قيمة الفردوس إن لم يذِعْ فيها عبيرُ الأنفس الصافيهْ ؟!
سئمتها يا ربِّ واستثقلت روحى حياة الجنة الغافيهْ

فيشعرنا بتقديسه ، وانه المرتبه الروحية العليا للسعادة التى ينشدها المنعمون فى الفردوس ، ولا عجب أن نلمس ذلك فى الألحان الضائعة وصاحبها القائل فى إبداع وسموّ تصوير :

وما العطرَ إلا أنَّهْ وتوجُّعْ كأصداء أنغامى ، ورجْع شكاتى
يغنى شجىُّ القلب والناس حوله طروبين بالإنشاد والنغمات !

وقصيدة (وحى الشعر) من روائع شعره الذى مجّد فيه فنّه وشبّب بأغانيه التى تنتشله من هَذَر الحياة تشبيب العشق المفتون ، ولا ينضج الفن إلا إذا انسابت فى جميع دقائقه فتنة الفنّان به ، ورضاه عنه مهما عزف الناس عن روائعه الخالدة ، فالايمان الصادر من قلب الشاعر بأغانيه هو الحجر الأول فى أساس خلوده ، ومن أروع ما قال فيها مخاطبا وَحْىَ شعره :

أيها الجاذبى من الهذر الدّا وى إلى عرش ربّة الألحان
ومحيطى بكل ما يملأ النفـ ـسَ ضياءً ، وناشراً إيمانى
أنتَ وَحىُ الشعر المرفّهُ عنى فى حياةٍ أجتازها كالأغانى
أنا أشدو . . والجوّ يبلغُ شَدْوى وأغنى . . لكن إلى ذوبانِ !

وأحب أن يتأمل القارىء معى فى البيت الأخير ليشعر بما فيه من زهادة روحية ، ولوعة عميقة على تلك الألحان الضائعة التى غنّى بها الصيرفى غير نادمٍ على تلك التضحية الانسانية التى تعدّ المبدأ الأسمى للشاعر لكى يرقى بفنه عن سخط الجمهور أو رضاه ، ويحلق فى سمائه معتزّاً بشعره ، متأبّيا به عن الإسفاف لتملق الجماهير العاجزة عن الطيران إليه فى آفاقه المنيعة ، وترى ذلك واضحاً فى آخر مقطع من قصائد الديوان وهو « التضحية » :

هنا فى هيكل الحبّ أحقّرُ مبدأ الفردِ
وأحرق عنده قلبى بخوراً طيّبَ النَّدّ

* * *

ولستُ بنادمٍ يوما على قربانىَ الضائعْ
أجلّ الناس مَنْ يظما ليُرضِى الظامىءَ الجائعْ !

إنّ شاعراً هذا مبدؤه لن تضيع ألحانه مهما تصامتْ عنها الآذان ، والدهر كفيلٌ بإرهاف أسماع المجتمع اليها ، تتزلق على أعراف الأذهان يوماً بعد يوم حتى تصطدم بعقول المفكرين فترسب إلى الأعماق لتستاف عبيرَ الخلود ! فإذا كان الصيرفى قد برع فى ذلك الفن من فنون الشعر الواسعة ، ونحى فيه منحى الرمزية التى بدأت تتسرّب إلى شعرنا الحديث ، فأجاد فى كثير من قصائده أمثال « الواحة المنسية » و « السحابة المغترّة » و « عُقب السجارة » و « الشجرة العارية » و « الربيع

الباهت » فإنا نهنئه على ذلك التراث الجديد الذى أضافه الى كنوز الشباب ، ونرجو أن تنضج بقية الفنون الشعرية على يد شعراء الشباب الموهوبين كلّ فيما هُيِّئَتْ له عبقريته ، على ذلك المثال الجديد الذى ركّزَ به الصيرفى قوة الشعر الحديث .

وقد نوّه الشاعر فى كلمته الأولى بالديوان إلى تخلّصه من الذّوق العروضى الى الذوق الموسيقى ، وتعجبنا منه هذه النّزْعة التى سبقه بها شعراء المهجر من السوريين الذين نغموا ألفاظهم الوديعة بمعانٍ سامية حسب ما تمليه أذواقهم الموسيقية فشممنا عبيرَ الشعر الأندلسىّ إبّان مجده ، وبودّنا لو يرتفع الشعر الحديث عن مستوى التقليد الأعمى لتراكيب العرب وصياغاتهم وأفكارهم فان لكلّ عصر طابعاً ، وأن لكل أمة سِمَة ، وإذا فقد الشعر الحديث طابَعَ القوميّة وسِمَة التجديد الفكرىّ الذى تقضيه سنة التطوّر ، فقل عليه السلام ؟

محمود حسن اسماعيل

ما قلّ ودلّ

بقلم أحمد الصاوى محمد ـ جزءان عدد صفحات كل منهما ٢٣٩ بحجم ١٧ × ١٢½ سم ـ طبع بمطبعة دار الكتب بالقاهرة

للصاوى أسلوبان فى الكتابة ولكن له روحاً واحدة تتلمسها قريبة ظاهرة فى كلا الأسلوبين واضحة المعالم تهتدى منها الى شخصية الكاتب .

فأسلوبه فى القصة التى يكتبها أو فى القصة التى يلخصها أو فى الموضوع الأدبى الذى يدبجه شعرىّ موسيقىّ الرنين متأنق العبارة والمعنى .

أما أسلوبه فى كتابه الأخير (ما قلّ ودلّ) فهو أسلوب جرَتْ فيه البساطة الى حدّ كبير ولكنه بعيد: البساطة ينطبق عليها الوصف الذى كان يوصف به شعر البهاء زهير، أى انها السهل الممتنع ، ولقد حاول كثيرون أن يقلدوا الصاوى فى هذه البساطة فخرجوا عن حدود الأدب ، وبعدوا عن خفة الروح فكانت مواضيعهم تخرج جافة لا تبعث الرغبة على الاستمرار فى القراءة ، وقد استطاع الصاوى بقلمه الرشيق أن يجتذب لمقالاته أكبر عدد من قراء (الأهرام) يطالعونها أول ما يطالعون من هذه الجريدة .

أحمد الصاوى محمد

وهذه المقالات استمدّ موضوعاتها من الحوادث اليومية ومن خواطر ازدحمت فى رأسه إثر مطالعات أو مشاهدات وصاغها فى سطور قلائل دلت على قدرته فى تلخيص الفكرة واعطائها القارىء الذى أصبح عهدُ السرعة يدعوه الى أن يمرّ مروراً سريعاً بكل ما فى الحياة . على ان هذه الحوادث أو المشاهدات التى تبدو جافة

ستانلى باى

انه يتعرض لتهريب المخدرات ، ولكن
لا يتعرض لتهريب النفوس ، ولا يتعرض
لتهريب المخدر الأكبر : الجمال ، الحب !

استطاعت ريشة الصاوى أن تجول فى البعض منها جولات شعرية ترتدّ به الى أسلوبه الأول الذى عرفناه به أول ما عرفناه كما فى مقالاته « الفنون والجنون » و « الموسيقى » و « معنى الحب » و « أحلام طائر » و « أين قرّائى ؟ » و « الكآبة » و « الايمان والحب » و « المصير » و « دموع السماء » . ولننقل منها هذه الكلمة الشعرية :

« كلٌّ يأخذ من السماء رزقه ويأخذه حتى من دموع السماء ، ولقد شعرتُ أمس ببعض ، بكل الهناء . نسيت الدنيا بأفراحها وأحزانها وبنيت لنفسى دنيا ليس فيها الاّ السماء تبكى وقلبى يخفق ، فى خفوقه من الحاضر ومن الماضى ، فى خفوقه من الاحساس بجمال اليوم وروعة الأمس ، فى خفوقه من وعود الحياة ومن شجون الذكرى . هذا هو رزق الشعراء ، وقد يسخر منه بعض الناس ، وقد يعدّه البعض أضغاث أحلام ، ويعدّه آخرون خيالاً فى خيال ، ولكن الشاعر يفخر بأحلامه وخياله . فهو يعيش بها ولها . وهو يزيد الدنيا بها جمالاً . ولولا هذه الأحلام والخيالات لأصبح الوجود غليظاً كئيباً . ترى ماذا كانت تكون الدنيا بغير الشعراء ، بغير أحلامهم الجميلة وخيالاتهم النبيلة ؟ ! ترى ماذا كانت تكون الدنيا بغير سمائها التى تارة تظلم وتارة تصفو ، وتارة تختفى وراء سحبها وتارة تبدو لأن السماء لها أيضا خيالاتها وأحلامها ؟! وإلاّ لماذا تذرف الدموع ؟! »

أدب الرسالة

تُعدُّ (الرسالة) بحقٍّ من أظهر المجلات العربية لخدمة الآداب الرفيعة والثقافة العالية ، معبرةً باخلاص عن روح النهضة المصرية ، مصوّرة مظاهر العبقرية للأمة العربية ، مسجلةً ظواهر التجديد فى آدابها ، ويتعاون على تحريرها كثيرون من أعلام الأدب وبينهم غيرُ قليل من شعراء (أبولو) ونقادها .

ومن ظواهر نشاطها الأدبى أخيراً زيادة عنايتها بالشعر ونقده . وقد وُفّقتْ كذلك الى مؤازرة الشاعر الكاتب الشهير السيد مصطفى صادق الرافعى برسائله الأسبوعية لها ، وهى رسائل فياضه بالنقد الأدبى البديع وبالذكاء اللماح والبيان الرائع .

فنهنىء الزميلة بهذا التقدّم المتواصل فى تحريرها ، ونهدى الى لجنة التأليف والترجمة والنشر والى رئيس تحريرها الفاضل تحيتنا وإعجابنا بهذا المجهود الأدبى العظيم

ديوان المعانى

للإمام اللغوى الأديب أبى هلال العسكرىّ ، جزءان : الأول فى ٣٦٨ صفحة، والثانى فى ٢٦٩ صفحة بحجم ٢٥ × ١٦ سم.
عُنيت بنشر مكتبة القدس بمصر

ما أغزر الأدب العربى ، وما أبدع روائعه : هذا ما ينطق به الإنسان كلما اطلع على مافى كنوز هذه اللغه من آثار طيبة ، وينطق به عن غيروعى إذا كان الأثر قوياً فيه من عوامل الحياة مايضمن له الخلود .

هناك كتب تجمع من شوارد اللغة والأدب ومن جواهره الكثير ولكن لانحس فيها بحياة تدبّ ، فهى أشبه بالدمى الشمعية التى تُعرض فى واجهات المحال التجارية فلا تستهويك فتنشغل عنها بما عليها من أزياء .

أما هذا الكتاب (ديوان المعانى) الذى ألّفه وصنّفه الامام اللغوى الاديب أبو هلال العسكرى وقال فى مقدمته : « جمعت فى هذا الكتاب أبلغ ما جاء فى كل فنّ ، وأبدع ماروى فى كل نوع ، من أعلام المعانى وأعيانها الى عواديها وشذاذها» فهو كتاب جامع يجرى صاحبه فى البحث عن المعانى التى تكمن وراء الالفاظ ويفسر من هنا قوة هذا البيت أو الجملة على البيت الآخر أو الجملة الأخرى ، كما يعرض لبيت امرىء القيس الذى هو أجود ماقيل فى الأدب العربى القديم فى وصف إخفاء الحركة عند زيارة المعشوق وهو :

سموتُ اليها بعدمانام أهلُها سموَّ حباب الماء حالاً على حالِ

فيأتى من بعده بيت وضاح اليمن الذى يقول فيه :

واسْقُطْ علينا كسقوطِ الندى ليلةَ لا ناهٍ ولا زاجرُ

ويرينا البلاغة فى البيت الثانى إذ يكمن المعنى القوىّ وراء اللفظة الساذجة ، فان سقوط الندى أخفى من سموّ حباب الماء لأن لسموّ حباب الماء صوتاً خفياً ليس لسقوط الندى .

وقد جعل المؤلف كتابه اثنى عشر باباً خصص كلا منها لموضوع : فهو يذكر ماجاء فى الغزل وأوصاف الحسان من معانٍ رائقات نثراً أوشعراً ، ويذكر

ما جرى على ذكر السماء والنجوم والشمس والقمر ، أو ماجرى ذكره على السحاب والمطر وصفات البساتين وغيرها، وهكذا . وفى كل باب ينتقل القارىء من مونق الى مونق .

مثل هذه الثروات الأدبية التى خلفها لنا أسلافنا يجب أن يُجلى عنها غبارُ السنين وتكشف للناس بدراسات قوية تطلعهم على ما وراء الالفاظ من معانٍ قوية كامنة لا أن تخرج للناس مستورة ، فان أدبنا غنى ولكنه فقير الى الدرس ، فقير الى العناية والبحث والاستقصاء . أما عرض الأدب عرضاً تجارياً فليس بمجدٍ على الأدب شيئاً اللهمَّ الاّ تراكم الصخور فى طريقه !

رُوّاد الشعر الحديث فى مصر

تأليف مختار الوكيل — ٨٤ صفحة بحجم ١٧ ½ × ١٢ سم . مع صُوَرٍ ملونة طُبع بمطبعة الطلبة بالقاهرة — الثمن أربعون مليماً .

النقد الحقّ هو أحوج ما يكون اليه الأدبُ فى جميع عصوره ، ولا بدَّ أن تكون للناقد بصيرة نفّاذة تنظر الى أعماق ما تريد أن تنتقده ، ويجب أن تلم بموضوعها تمامَ الإلمام ، وأن يكون لديها الاستعداد أو يكون لديها ذوق فيما تنقده وميل الى ناحيته وتخصص فيه وترفع عن الأهواء والصغائر ، وإلا فان النقد حينئذ يكون بعيداً عما يحمل اسمه من معنى .

ولقد تصدّى الشاعر الناقد مختار الوكيل الى نقد أربعة من رُوّاد الشعر الحديث فى كتابه هذا فجلا طابع كل شخصية وما تمتاز به وما يلازمها ، وأظهر منها النواحى التى تميزها عن غيرها . وقد اقتصر على هؤلاء الأعلام لأنه جعل بحثه مقصوراً على الشعر الحديث فى مصر وعلى الشعر الحديث بكل ما تعنيه هذه الكلمة من مَرمىً وقوة .

وهؤلاء الأربعة الذين نقدهم المؤلف هم : خليل مطران وعبد الرحمن شكرى وأحمد زكى أبو شادى وعباس محمود العقاد . ونظرة واحدة الى هذه الأسماء يدرك منها القارىء أن الشعر الذى يحاول البلوغ إلى أعماق الحياة والتغلغل فى صميمها

إنما هو الشعر الخالد ، فهؤلاء الشعراء الأربعة — وإن اختلفوا فى بعض المذاهب — متفقون عند نقطة واحدة مركزية : هى جعل الشعر رسالة من الحياة الى الحياة ، فهم مفكرون قبل أن يكونوا شعراء ، وهم يعرفون من الشعر معناه لا ألفاظه ، وعمقه لا ضحله ، وغاياته وأغراضه ، والمثل العليا التى خُلق من أجلها الشعر . ومن هذا كان نفوذهم الأدبى البعيد ، وحقّ للمؤلف أن يدرسهم معاً فى كتاب واحد .

وهذه ظاهرة حسنة تبشّر بإدراك ماهية الشعر إدراكاً يرفعه عن مستوى اللفظ المونق والمعنى المكرَّر الضحل الذى ليس وراءه لذة روحية وغاية فكرية . وهذه دلالة على الاتجاه الجديد فى إيمان الشباب بالأدب وبرسالة الشعر الحديث .

ولعلنا نظفر من الأدباء النقاد فى الأقطار العربية الأخرى — كالعراق وسورية وتونس — بأمثال هذا الكتاب المفيد عن رُوّاد الشعر الحديث فى كلٍّ منها ، فان لهذه التصانيف فائدة كبرى فى تبادل الثقافة الفنية ومعرفة التيارات الجديدة فى الشعر العربى . وقد سَنّ مؤلف هذا الكتاب سنّة جميلة بأسلوبه المعتدل وتوخّيه الانصاف ، وبمحاولته الاندماج فى شخصية كلّ شاعر نقده . وقد نختلف معه فى بعض أحكامه وتفاسيره ، ولكن لا شك فى إخلاصه وفى رغبته الأكيدة فى خدمة التأريخ والنقد الأدبى خدمة بريئة لوجه الأدب وحده . وحبذا لو عُنيت المعاهد الدراسية بهذا الكتاب الفريد من نوعه فهو جديرٌ بالذيوع فى البيئات المدرسية ، وقد آن الأوانُ لدراسة الأعلام من شعرائنا الأحياء كما تفعل الأمم الغربية الراقية بدل الاقتصار على أشعار الموتى ، كأنما لا بدّ من الموت لتزكية الشاعر الموهوب قبل أن نلتفت الى مآثره !

زعامة الشعر الجاهلى

بين امرىء القيس وعدىّ بن زيد

تأليف عبد المتعال الصعيدى المدرّس بكلية اللغة العربية الأزهرية

١٣٦ صفحة بحجم ٢٤ × ١٥ ½ سم . طبع بالمطبعة المحمودية التجارية بالأزهر بالقاهرة . الثمن خمسون مليماً

للشيخ عبد المتعال الصعيدى جولات فى الأدب والتاريخ محمودة الأثر ، فيها من العناية بالبحث والاستقصاء ما يبوّئها مركزاً ممتازاً فى تاريخ الأدب .

وكتابه هذا قد توفّر فيه على البحث فى شاعرية شاعرين جاهليين هما امرؤ القيس

وعدىّ بن زيد . . . وكانت الحقب تمرّ ولواء الزعامة فى الشعر العربى فى العصر الجاهلىّ مرفوعٌ لامرىء القيس، فتناول مؤلف هذا الكتاب هذين الشاعرين وأثبت الزعامة لعدىّ على امرىء القيس. ووازن بينهما فأورد ما اتفقا فيه من نواح كالبيئة إذ ان امرأ القيس كان أبوه ملكاً، وعدىٌّ كان ابوه عند كسرى فى منزلة الملوك المناذرة ، وكلا الشاعرين لم يتجر بشعره . وأورد ما اختلفا فيه فأبان ما امتاز به عدى على امرىء القيس من جهات كثيرة منها « أن عديّاً تقلب فى احضان الحضارة بالحيرة والمدائن فى صغره وكبره ،أما امرؤ القيس فنشأ فى البادية فى ظل ملك بدوىّ فيه خشونة وترف . . . وأن عدياً أخذ بتربية مدرسية جمع فيها بين ثقافات العرب والفرس والروم ، أما امرؤ القيس فكان شأنه مثل شأن سائر أبناء البادية إذ يتركون لسليقتهم وفطرتهم» ، الى غير ذلك من النواحى التى امتاز بها من هدوء واستقرار لم يتح لامرىء القيس .

أما الموازنة بينهما فى أغراضهما الشعرية فقد أطلعنا المؤلف على نواحى العظمة فى شعر عدىّ التى تضمن له الزعامة على ندّيه إذ كان عدىٌّ فى شعره « ينظر الى الكون بأسره ويؤدى رسالة عامة فى الحياة ، فهو فيه الحكيم الناصح الصادق النصيحة للانسانية عامة ، والقاصّ البارعُ الذى يجيد سبك القصة ويعرف كيف يستخلص منها الموعظة والحكمة العجيبة ، وكم ردّ بذلك ملوكاً عن طغيانها وهدى نفوساً إلى رشادها » .

والمؤلف يرفع اللواء لزعامة عدىّ فى شعره الجاهلى ناظراً الى أثر الشعر فى حياة الإنسانية وهى النظرة السليمة التى يجب أن يأخذ بها النقاد، فما كان يعرف امرؤ القيس فى شعره إلاّ نفسه وشهواتها ولم يشعر أن عليه رسالة يجب أن يؤديها للناس وللحياة فى هذا الشعر .

ولقد أجاد المؤلف الفاضل فى بحثه واستقصائه إجادة يستحقّ عليها كل الاعجاب، وأضاف إلى بناء النقد السليم الذى ينقص الأدبَ العربىَّ حجراً ثابتاً نودّ لو أضيف اليه كثيرٌ من أمثاله لنرى البناء فى عزّةٍ وثبات ؟

حسن كامل الصيرفى

أنداء الفجر

نظم أحمد زكى أبى شادى ، الطبعة الثانية مع تصدير ودراسات ، ١٣١ صفحة بحجم ١٩½ × ١٤ سم . طُبع بمطبعة التعاون بالقاهرة .
الثمن خمسون مليماً

يَتشوّفُ الأدباءُ عامة والشعراء خاصة إلى صدور ديوان (فوق العباب) لأبى شادى ، ولكن هذا التشوّف لا يحول الآن دون الاستعراض العام لهذا الديوان الصغير من شعر صباه ، وإن لم يتجاوز ما فيه أربعمائة وخمسة وعشرين بيتاً جمعتها خمسون قصيدة ومقطوعة . وفى الحق كنتُ أشتهى أن يكون لى نصيبٌ فى دراسة هذا الديوان لمناسبة صدور طبعته الثانية ، كما تناولتُ بالدراسة من قبل صُوراً أخرى من شعر الصبا لأبى شادى فى مجلة (العصور) وغيرها ، فانّ لى شغفاً بشعره الأول ورأيى أن الشعر يسهل تفهُّمه وتذوُّقه الفنى اذا ما اقترن بدراسات مَنْ تذوّقوه وقدّروه من قبل . ومن أجل ذلك حمدتُ ما كتبه الدكتور هيكل بك من دراسة للشوقيات وما كتبه المازنى من دراسة لديوان العقاد وما كتبه العقاد من دراسةٍ لديوان شكرى ، إلى أمثال هذه الدراسات التى ظهرت فى دواوين أصحابها لأنها تساعد على خَلق الجوّ الفنى اللائق لمطالعة تلك الدواوين . وليس من الضرورى أن تتفق وآراء أولئك الدارسين ، ولكن يهمنا أن نعرف ماذا يقوله مريدو الشاعر من تفاسير لفنه ولمزاجه وطبيعته الشعرية ، فكم من تفاسير خاطئة يتورط فيها النقاد فيما بعد بسبب إغفال أمثال هذه الدراسات فى أوانها . وقد أحسن الأدباء الأفاضل محمد عبدالغفور ومصطفى عبداللطيف السحرتى وعبدالعزيز عتيق بما قدّموه من دراسات ممتعة لهذا الديوان ، كما أحسن الشاعر نفسه بالفصل التاريخى الرائع « مطران وأثره فى شعرى » الذى ذيّل به الديوان ، فسيبقى هذا الفصل القيم مرجعاً من المراجع التاريخية المهمة فى تفسير شعره وتحليله . وما أحسب جهرة الأدباء الاّ مرتاحين ارتياحى الى هذه الجهود الأدبية النقدية ، فشتان بينها وبين التقاريظ الجوفاء التى كانت تكال للمؤلفين فى مطبوعات الجيل الماضى وما قبله . ولن يعيب أمثال هذه الدراسات الثقافية الا المغرضون ومَن يتوهمون أن الدراسات النقدية ليست الا ألواناً من الملاكمة ، وأما ما عداها فيجب أن يُجرّح ويُعاب ! ... ونحن على أى حال بازاء زعيم من زعماء الشعر العصرى يتلقى العشرات من التقاريظ النثرية والنظمية فيعفّ عن نشرها فى

هذه المجلة وفى غيرها ، ولا يأبه الا للدراسات الفنية وحدها سواء أكانت له أم عليه، فهو فى كلّ هذا القدوة المثلى للشعراء والمؤلفين .

أمّا عن شعر الديوان نفسه فعليه طابعُ الطلاقة والاصالة شأن الشعر المطبوع البعيد عن الرصّ والتكلف اللفظى وتعمد القوافى ، وتتجلى فيه الطبيعة والحبّ والوطنيات والوجدانيات ، وانما أمثلة كل ذلك قليلة لأن الديوان نفسه صغير . وكثيراً ما نلمح الوجدانيات ممتزجة بالوطنيات ،ونلمح جذوة الألم والحزن مشتعلةً فى ذلك الشعر بينما الشاعر لم يجاوز حينئذ العقد الثانى من عمره . ولعلّ أظهر الأمثلة على ذلك قصيدته « بعد الفراق » (ص ٢٦) وقد نظمها نازحاً عن وطنه ، عليلا مستشفياً جازعاً لحالة بلاده ، هذا الى أبيات مشجية متفرقة فى شعره مثل « عهد الصبابة » (ص ٢٥) و « الطب الحائر » (ص ٢٨) و « الدنيا » (ص ٣٣) و « عيش الحرّ » (ص ٣٦) وسواها . وقد فسر لنا الناقد الفاضل الأديب محمد عبد الغفور نفسية الشاعر وظروفه الخاصة التى جعلت حتى على شعر صباه هذه المسحة من الحزن والقلق . وشعر الطبيعة رائع التجلى فى هذا الديوان كما يتجلى فى بقية دواوينه ، ولا يُتذوَّق مثل هذا الشعرُ باقتطاف بضعة أبيات منه ومحاولة تشويه معانيها كما يفعل المغرضون الذين يسمون أنفسهم نقاداً ، وانما يكون بدراسة القصيدة كاملة ، فأبو شادى يقدّس وحدة القصيد ، والانصاف الفنى يحتم دراسة كل قصيدة من قصائده دراسة شاملة لا العبث بأبيات منها باسم النقد . . . ولعل من أجمل قصائد الطبيعة قصيدته « أنداء الفجر » (ص ١٤) وقصيدة « أنفاس الخزامى » (ص ٤٩) وقصيدة « بنات الخريف » (ص ٦٧) . وأما الشعر الوطنى فتتغلغلُ فى جميع صفحات الديوان تقريباً وهو يمثل وطنية الشبان فى ذلك الوقت ، وإن كان لأبى شادى من الشعر الوطنى الى وقتنا هذا ما يجعله غير منازع أغزر الشعراء الوطنيين المصريين وأدقّهم على الاطلاق .

والناقدُ البصيرُ المستقلُّ لا يفوته أن يلمح فى هذا الديوان بدايةَ الشخصية الفنية لشاعرنا ، ومنها تعابيره التى تجد فيها الموسيقى الطليقة ، فهو حريصٌ على انسجام كلماته وحروفه انسجاماً غنائياً تاماً ، ولكنه بعد ذلك لا يتقيد بالتعابير التقليدية وإن احترم جمالَ اللغة كلَّ الاحترام . فلشاعرنا منذ صباه طبيعةٌ فنيةٌ قويةٌ وقريحةٌ تسحّ بالشعر سحّاً ، بحيث تواتيه الألفاظ والقوافى الملائمة فى غير عناء ، فاذا جدّد فى التعابير بعد ذلك فانما هو تجديد المختار لا المضطر ، واذا تصدّى

لنقده بعدكل هذا مَنْ ليست لديهم طبيعةٌ شعريةٌ ومَنْ لا يتذوّقون لغة الشعراء فما الذنب ذنبه وانما الذنب ذنب الصحف المتساهلة التى لا تتورّع عن نشر الهراء النقدى . وبحسبك أن يصيح كاتبٌ ناشئٌ منكراً على شاعرنا خياله الجميل عن « أنداء الفجر » فى قوله :

مِنْ دُموعِ النجومِ ، مِنْ سَهَرِ العا شقِ صِيغَتْ ، ومن رجاء الحياةِ
فى حَنانٍ ورقّةٍ وهى لا تمـ لكُ مِنْ عُمرها سوى لحظاتِ

وإذا قال الشاعر إن العفاف قد عزّ فى المجتمع وأن الجبابرة الفاتحين هم فى الوقت ذاته أسرى الشهوات ، ولكنه يفخر بعفته وطرفه الكسير وسط هذه الفوضى الخلقية وبإرضاخ الأيام له حينما تنقلب على الفاتحين الذين يستسلمون لشهواتهم — إذا قال هذا القول النبيل حاول صاحبنا الناقد الغاشم قلبَ المعانى وتجريح الشاعر بتفاسير مرذولة ! . . . وقِسْ على ذلك سوء تفسيره لقصيدة « فؤادى » (ص ٤٢) التى مايزال كثيرون يعدّونها من جيد الشعر الحديث . فليرجع اليها مَنْ شاء وليتذوّقها كل مَنْ تثقف ثقافة علمية وفهم ما معنى « صلابة الحجر الكريم » قبل أن يمسك القلم بيده مدّعياً القدرة النقدية وهو فى حاجة صميمة الى التتلمذ على أعلام الأدب طويلا ... ومن هذا القبيل نقد عناية الشاعر بدقائق الحياة وصُوَرِها فى الأشعة والظلال والأطياف والأنغام والأصداء وتمعّنه فى النفسيات والغرائز . واذا كانت مثل هذه العناية الدقيقة مما يُعاب فماذا يا ترى يصحّ أن يُطرَى ويُحبّ ؟ ! ... وبلغ الجهل باللغة أن يقول الناقد المغرور إن قول أبى شادى مخاطباً المرحوم مصطفى كامل (ص ٤٧) :

لكَ غالٍ من الهوى غير بالٍ لوفاءٍ على المدَى غير بالِ
صُنْتَ لكَ اليومَ مثلُ سعيكَ بالأمـ ـسِ مُهيبٌ لمُخلَدِ الأعمالِ
ضجعةُ الموتِ رقدةُ السُّهدِ والوجـ ـدِ لقلبٍ على الردى غيرِ خالِ

مأخوذ من قول أبى العلاء :

ضجعةُ الموتِ رقدةٌ يستريح الـ ـجسمُ فيها والعيشُ مثلُ السُّهادِ

وأن هذا البيت الذى يقال فى الحبيب الحىّ الذى يودّعه فى حرقةٍ :

سلامٌ على حُسْنٍ دفنّا سهامَهُ بأضلعنا بين التكتُّم والنَّمِّ

مأخوذٌ من قول نجيب الحداد فى رواية (روميو وجولييت) فى موقف الرثاء:

سلامٌ على حُسن يدُ الموتِ لم تكن لتمحوه أو تمحو هواهُ من القلب !

وهذا الهذر يُنشر فى الصفحة الأدبية لجريدة محترمة يُشرف على تحريرها أديب كبيرٌ يحبه ويُجلّه الكثيرون منا . فهل أصبحت جرائدنا فى حاجتها الى المادة الأدبية الى هذه الدرجة من الفقر حتى تنشر كلّ ما يبلغها من مثل هذا الهراء النقدى باسم الأدب ؟ !

وبعد هذا ، فأنداء الفجر صورةٌ ندية من شعر الصبا الحبيب الى النفوس بألوانه وأطيافه ودموعه الزكية . وما مِن شكٍّ فى أنّ مريدى أبى شادى وعُشّاق شعره الكثيرين سيشكرون لمطبعة التعاون عنايتها بتجديد هذا الديوان التاريخى كما سيشكرون للأدباء الأفاضل الذين عُنوا بدراسته ما أتحفوا به الأدباءَ من أدبٍ رائعٍ ونقدٍ ناضجٍ وتحليلٍ نفيسٍ ؟

على محمد البحراوى

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥	١٨	عبدالعزبز	عبد العزيز
٢٥	١٤	الوادع	الوداع
٤٥	٦	الطيبة	الطبيعة
٤٨	١٠	فقانلوا	فقاتلوا
٦٥	٢	شذّى زهرٌ	شذى زهر
٧٢	٦	وُفّقنا	فوُفِّقنا